مجرد جولة

استويت جالسا على كرسي خشبي أمام مكتبي، وأخذت قلمي لأكتب خواطر عصفت بخيالي. دندنات زوجتي تنبعث من المطبخ، ربما كانت تعد لي فنجان قهوتي المفضل، أو كانت بصدد أشغال مطبخية أخرى. ابننا الوحيد يلعب تارة بمجسمات ودمى، ويعبث طورا بأثاث المنزل. أشعلت المذياع، فوقع اختياري على إذاعة تبث رائعة من روائع الست. استعذبت الرائعة، فرحت أردد الغناء. وضعت رأسي بين كفاي، أغمضت عيناي، واستسلمت لأحلام راودتني. انغمست وذبت في بحر الأغنية فصرت ألعوبة في أيدي أمواجه، حتى نسيت ما كنت أود أن أكتبه.

رفعت رأسي إلى أعلى ناظرا إلى سقف البيت، وأطرقت أفكر عساي أسترد ما كان علي أن أكتبه من خواطر. استفقت على صوت طرق عنيف، فانتصبت واقفا، وحدقت في الباب. تشتت فكري وتشعبت أفكاري، واختلطت الحروف في مخيلتي. خرجت زوجتي من المطبخ ونظرت إلي بعينين متسائلتين. حتى الابن الذي لا يدرك شيئا، توقف عن اللعب، وتجمد في مكانه.

تكرر الطرق مرة أخرى وبأعنف صورة، هرعت إلى الباب، فتحته بحذر، فإذا عيناي تقعان على رجلين عملاقين، طويلي القامة، حليقي الرأس والشارب والذقن، أسمري البشرة. أنظر إلى أحدهما، ألتفت إلى الآخر، فأجدهما رجلين متشابهين إلى حد كبير؛ هذا إن لم يكونا رجلا واحدا!!! أشار لي أحدهما بسبابته طالبا مني أن أتبعه. قلت بعفوية، ودون أن أسأل عن هويتهما:

- إلى أين..؟!

أشار لي الآخر برأسه طالبا مني نفس ما طلبه زميله. ألفاني ملازما لمكاني فأجال عينيه فيَّ، من أسفل قدمي إلى أعلى رأسي، وكأنه يقول لي: "لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم".

ارتعدت فرائسي لبرهة، وقلت بشجاعة:

- من أنتما لأتبعكما..؟!

- رجال أمن..

- وكيف لي أن أعلم..؟

أجاب أحدهما باستهتار:

- تبدو عنيدا كما توقعناك تماما..

سحبا بطاقة هوية في آن واحد وأريانيها، فتأكدت أنهما حقا من الشرطة السرية.

قلت:

- أي تهمة هذه..؟!

- التفكير..

تساءلت متمتما:

- ماذا..؟ ماذا..؟

- التفكير.. التفكير يا فتى.. أستصغرته..؟!

قلت بصوت متلجلج:

-كلا.. كلا.. كلا..

استغربت الأمر، لكنني استسلمت لأمرهما. هممت أن أخرج، فتنبهت إلى أنني متسربل بلباس منزلي.
قلت متوسلا:
- امنحا لي فرصة لأرتدي ملابسي.
أجابا بأقصى سرعة :
- لا عليك.. مجرد جولة وتعود.
تبعتهما، أركباني في المقعد الخلفي، وسارت السيارة إلى حيث لا أدري، وامتدت الجولة عمرا كاملا..!!